

قصص الأنبياء

قال الله تعالى : { ومكروا ومكر الله وانه خير الماكرين * إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إني ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون } .

وقال تعالى : { فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليهم بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاننا عظيما * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } .

فأخبره تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان . قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق : كان اسمه داود بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصره في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة من ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهة فأخذه طائنين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له وسلم لليهود عامة النصراري الذي لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وصلبوا بسبب ذلك ضللا مبينا كثيرا فاحشا بعيدا .

وأخبر تعالى بقوله : { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته } أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء كما أوردنا ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم عند أخبار المسيح الدجال فذكرنا ما ورد في نزول المسيح المهدي عليه السلام من ذي الجلال لقتل المسيح الدجال الكذاب الداعي إلى الضلال .

وهذا ذكر ما ورد في الآثار في صفة رفعه إلى السماء : . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا منهم من الحواريين يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء

فقال : إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي ثم قال : أيكم يلقي علي شبيهي فيقتل مكاني فيكون معي في درجتي ؟ فقال شاب من أحدثهم سنا فقال له : اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا فقال : أنت هو ذاك فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء .

قال : وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشر مرة بعد أن آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة : كان ا [] فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة : كان فينا ابن ا [] ما شاء ثم رفعه ا [] إليه وهؤلاء النسطورية وقالت فرقة : كان فينا عبد ا [] ورسوله ما شاء ثم رفعه ا [] إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث ا [] محمدا (A) . قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : { فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين } . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس على شرط مسلم ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية به نحوه ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة عن أبي معاوية .

وهذكا ذكر غير واحد من السلف وممن ذكر ذلك مطولا محمد بن إسحاق بن يسار . قال : وجعل عيسى عليه السلام يدعو ا [] D أن يؤخر أجله يعني ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين ا [] قيل : وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلا : بطرس ويعقوب ابن زبدا ويحنس أخو يعقوب وأندراوس وفليس وأيرثلما ومتى وتوماس ويعقوب بن حلقيا وتداوس وفتيانيا ويودس كريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى . قال ابن إسحاق : وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصرى وهو الذي ألقى شبه المسيح عليه فصلب عنه قال : وبعض النصرى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقى عليه شبهه هو يودس ابن كريا يوطا وا [] أعلم .

وقال الضحاك عن ابن عباس : استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي ألقى عليه الشبه . وقال أحمد بن مروان : حدثنا محمد بن الجهم قال : سمعت الفراء يقول في قوله : { ومكروا ومكر ا [] وا [] خير الماكرين } قال : إن عيسى غاب عن خالته زمانا فأتاها فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس ا [] عينيه عن عيسى ثم خرج إلى أصحابه فقال : لم أره ومع سيف مسلوك فقالوا : أنت عيسى وألقى ا [] شبه عيسى عليه فأخذه فقتلوه وصلبوه فقال جل ذكره : { وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم } .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد : حدثنا يعقوب القمي عن هارون بن عنتره عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم

صورهم ا □ كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم : سحرتونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه : من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة ؟ فقال رجل : أنا فخرج إليهم فقال : أنا عيسى وقد صوره ا □ على صورة عيسى فأخذه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لم وطنوا أهم قد قتلوا عيسى فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ورفع ا □ عيسى من يومه ذلك . قال ابن جرير : وحدثنا المثنى حدثنا إسحاق حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول : إن عيسى ابن مريم لما أعلمه ا □ أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما فقال : احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده ويمسح أيديهم بثيابه فتعاطموا ذلك وتكارهوه فقال : من رد علي شيئا الليلي مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي فليكن لكم بي أسوة فإنكم ترون إنني خيركم فلا يتعظم بعظكم على بعض وليبذل بعضكم لبعض نفسه كما بذلت نفسي لكم وأما حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون ا □ لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي . فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان ا □ أما تصيرون لي ليلة واحد تعينوني فيها ؟ فقالوا : وا □ ما ندري مالنا وا □ لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نطيق الليلة سمرا وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال : يذهب بالراعي وتفرق الغنم ! وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعي به نفسه . ثم قال : الحق ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعي أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني .

فخرجوا وتفرقوا : وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا : هذا من صاحبه فجد وقال : ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذه آخرون فجد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه .

فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود فقال : ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل ؟ ! وبيصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها فرفعه ا □ إليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا . ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها ا □ من الجنون جاءها تبكيان حيث كان المصلوب فجاءها عيسى فقال : علام تبكيان ؟ قالتا : عليك قال : إنني قد رفعتني ا □ إليه ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم فأمر الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا

فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر وفقد الذي كان باعه ودل عليه اليهود فسأله عنه أصحابه فقالوا إنه ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسه فقال : لو تاب لتاب الله عليه ثم سألهم عن غلام كان يتبعهم يقال له يحيى فقال : هو معكم فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم فليذرهم وليدعهم .

وهذا إسناد غريب عجيب وهو أصح مما ذكره النصارى لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم وهي جالسة تبكي عند جذعة فذأراها مكان المسامير من جسده وأخبرها أن روحه رفعت وأن جسده صلب .

وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادة باطلة في الإنجيل على خلاف الحق ومقتضى الدليل .

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فما بلغه أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام وهي تحسب أنه ابنها أن ينزل جسده فأجابهم إلى ذلك ودفن هنالك فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح فذهبتنا فلما دنتنا من القبر قالت مريم لأم يحيى : ألا تستترين ؟ قال : وممن أستتر ؟ فقالت : من هذا الرجل الذي هو عند القبر فقالت أم يحيى : إني لا أرى أحدا فرجت مريم أن يكون جبريل وكان قد بعد عهدها به فاستوقفت أم يحيى وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته : يا مريم أين تريدين ؟ فقالت : أزور قبر المسيح فأسلم عليه وأحدث عهدها به فقال : يا مريم إن هذا ليس المسيح إن الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذي ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون عليه فإذا كان يوم كذا وكذا فأت غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح .

قال : فرجعت إلى أختها وصعد جبريل فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة فما كان ذلك اليوم ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها فقبل رأسها وجعل يدعو لها كما كان يفعل وقال : يا أمه إن القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني إليه وأذن لي في لقائك والموت يأتيك قريبا فاصبري واذكري الله كثيرا ثم صعد عيسى فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت .

قال : وبلغني أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة Bها وأرضها

وقال الحسن البصري : وكان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعاً وثلاثين سنة وفي الحديث : [إن أهل الجنة يدخلونها جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين] وفي الحديث الآخر : [على ميلاد عيسى وحسن يوسف] وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

فأما الحديث الذي رواه الحاكم في مستدرکه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه عن سعيد بن أبي مریم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول : أخبرتني فاطمة أن رسول الله (A) أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وأنه أخبرني أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين هذا لفظ الفسوي فهو حديث غريب .

قال الحافظ ابن عساكر : والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر وإنما أراد به مدة مقامه في أمته كما روى سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال : قالت فاطمة : قال لي رسول الله (A) : [إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة] وهذا منقطع .

قال جرير والثوري عن الأعمش عن إبراهيم : مكث عيسى في قومه أربعين عاما . ويروى عن أمير المؤمنين على أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان وتلك الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة أيام . وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فدنّت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي تنظر وألقي إليها عيسى بردا له وقال : هذه علامة ما بيني وبينك يوم القيامة وألقى عمامته على شمعون وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حبا شديدا لأنه توفر عليها حبه من جهتي الوالدين إذ لا أب له وكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا وكانت كما قال بعض الشعراء : . (وكنت أرى كالموت من بين ساعة ... فكيف بين كان مواعده الحشر) .

وذكر إسحاق بن بشر عن مجاهد بن جبير أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم أكثر النصارى بجهلهم ذلك تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم وهو ملك دمشق في ذلك الزمان فقبل له : إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله وكان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويفعل العجائب فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه وحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه فبايعهم في دينهم وأعلى كلمتهم وظهر الحق على اليهود وعلت كلمة النصارى عليهم وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه وجيء بالجذع الذي صلب عليه ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هاهنا دخل دين النصرانية في الروم وفي هذا نظر من وجوه : .

أحدها : أن يحيى بن زكريا نبي لا يقر على أن المصلوب عيسى فإنه معصوم يعلم ما وقع على جهة الحق .

الثاني : أن الروم لم يدخلوا في دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة وذلك في زمان قسطنطين بن قسطن باني المدينة المنسوبة إليه على ما سنذكره .

الثالث : أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشيتته جعلوا مكانه مطرحة للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمان قسطنطين المذكور فعمدت أمه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التي صلب عليها المصلوب فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفي فإِ أعلم أكان هذا أملا وهل كان هذا لأن ذلك الرجل الذي بذل نفسه كان رجلا صالحا أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصرى في ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها بالذهب والآلء ومن ثم اتخفوا الصليبات وتبركوا بشكلها وقبلوها وأمرت أم الملك هيلانة فأزيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة فهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها ويسمونها القيامة يعنون التي يقوم جسد المسيح منها ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكس عنها القمامة بردائه وطهرها من الأخبث والأنجاس ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيث صلى رسول الله (A) ليلة الإسراء بالأنبياء وهو المسجد الأقصى